ملامح الاتجاه الوجداني
عند الشاعر الكويتي فهد العسكر
(١٩١٧ – ١٩٥١) م
دراسة تحليلية

د/ كريم محمد محمد صديق

مدرس لغة عربية، مدرسة الرحمن الخاصة للغات

جمهورية مصر العربية

(العدد الخامس والثلاثون)

(الإصدار الأول)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

ملامح الاتجاه الوجداني عند الشاعر الكويتي فهد العسكر (١٩١٧ – ١٩٥١م) (دراسة تحليلية)

كريم محمد محمد صديق

مدرس لغة عربية، مدرسة الرحمن الخاصة للغات، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: dockarimseddik@gmail.com

ملخص البحث: تناول البحث الذي بين أيدينا ملامح الاتجاه الوجداني عند شاعر كبير من رواد الرومانتيكية في بلده الكويت وهو الشاعر فهد العسكر حيث يعد الشاعر أحد أعلام الرومانسية وقد ظهر ذلك جليًا في ولوعه بالطبيعة والمرأة وسيطرة الكآبة وشيوع حالة من الحزن في بعض قصائده، والثورة على تقاليد المجتمع، والتي كانت سببا في أن يصير الشاعر منبوذا في مجتمعه، وهو المجتمع المحافظ في الجزيرة العربية الذي يأبى الخروج على العادادت والتقاليد لا سيّما الإسلامية منها، كما ظهر في بعض شعره منشغلا بقضايا الوطن في حديثه عن المهاجرين إلى الجزيرة العربية وكيف يشعر بعض السكان الأصليين بالغبن بعد دخول الأجانب إلى بلاده ، وقد حاول البحث أن يميط اللثام عن هذه الملامح من خلال قراءة ديوان الشاعر ورصد اقتفاءه لهذا الاتجاه، وبعد لأي فإنّي قد توصلت في بحثي هذا إلى أن العسكر وإن كان من دعاة التجديد إلا أنه ظل متمسكًا بكثير من الأصول الكلاسيكية في شعره؛ فنراه يحافظ على الوزن الواحد والقافية الموحدة في جلّ أشعاره، كما اتسم معجمه الشعري بالنزوع إلى القديم فبدا متأثرا بألفاظ الشعر العربي في قرونه الأولى، وبدا متأثرًا في خيالاته بالتراث العربي، ولعل ذلك بسبب بيئته الصحراوية التي تجلُّ تراثها الشعري، فبرغم محاولات التجديد إلا أن القديم قد ظل مترسخا في وجدانه باديًا في أسلوبه، ومما يلفت النظر أن شاعرنا قد عدل عن التقليد القديم وهو البدء بمقدمة غزلية طللية إلى مقدمة أخرى وصفية يصف فيها مظاهر الطبيعة من حوله ثم يتخلص إلى غرضه الرئيس فبدا مجددا لم يفلت من أسر التراث.

الكلمات المفتاحية: فهد، العسكر، الرومانتيكية، الاتجاه، الوجداني.

Features of the emotional attitude of the Kuwaiti poet Fahd Al-Askar (1917-1951 AD) (analytical study)

Karim Mohamed Mohamed Seddik
Arabic Language Instructor, Al-Rahman Language School, Arab Republic of Egypt.
Email: dockarimseddik@gmail.com

Abstract: The research that we have before us deals with the features of the sentimental trend of a great poet who pioneered romanticism in his country of Kuwait, the poet Fahd Al-Askar, where the poet is considered one of the figures of romanticism, and this was evident in his passion for nature and women, the dominance of melancholy and the prevalence of a state of sadness in some of his poems, and the revolution against The traditions of society, which was a reason for the poet to become an outcast in his society, which is the conservative society in the Arabian Peninsula that refuses to depart from customs and traditions, especially Islamic ones, as it appeared in some of his poetry preoccupied with the issues of the homeland in his talk about immigrants to the Arabian Peninsula and how some residents feel The originals were unjust after the entry of foreigners into his country, and the research tried to unravel these features by reading the poet's diwan and monitoring his tracing of this direction, and after which, in this research, I came to the conclusion that the military, even though it was one of the advocates of renewal, still adhered to many of the origins classic in his poetry; We see him maintaining a single weight and a unified rhyme in most of his poems, as his poetic lexicon was characterized by a tendency to the old, so it seemed to be influenced by the words of Arabic poetry in its first centuries, and it seemed to be affected in its imagination by the Arab heritage, and perhaps this is because of its desert environment, which manifests its poetic heritage, despite attempts to renew, but the old He has remained deeply rooted in his conscience, evident in his style, and it is remarkable that our poet has changed the old tradition, which is to start with a flirtatious introduction to another descriptive preface in which he describes the manifestations of nature around him and then gets rid of his main purpose, so it seemed again that he did not escape the captivity of heritage.

Keywords: Fahd, The military, The romantic, The trend, The emotional.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلامًا على عباده الذين اصطفى، لا سيّما عبده المصطفى، وآله وصحبه المستكملين الشرفَ، أما بعد، فلم تكد تشرف بدايات القرن العشرين حتى كانت بوادر التطور قد لاحت في عالمنا العربي ، فغدا المثقف العربيّ في صراع متعدد الجوانب بين القديم والحديث، في الاجتماع والسياسة والأخلاق والعادات والأدب والفن .

ثمة صراعٌ عنيف قد احتدم بين المستعمر الغربي من ناحية والشعوب العربية التي تستشرف طريقها للحرية من ناحية أخرى .

وفي ظل ذلك التطور الممتد من ناحية، وغمرة الصراع من ناحية أخرى، نشأت طائفة من الأدباء بلغت حدًا طيبًا من الثقافة والوعي، وتفتّح وجدانها على هذا العالم الجديد بكل ما أتاحه للفرد من شعور بذاته، هذا الشعور الذي ظل مفقودًا أمدًا طويلًا، حتى ردته المعرفة والحرية النسبية والتطلع إلى المشاركة في الكفاح من أجل الاستقلال والرقي الحضاري الذي ينشدونه، والتفت هؤلاء الأدباء إلى وجدانهم يرقبون من خلاله عالمهم المتغير ويُعبّرون عن تجاربهم الفردية ومشاعرهم الذاتية بأساليب فيها كثير من الحدة العاطفية والخيال الجامح والصور المستحدثة والمعجم الجديد[١]

ولم يكن العالم العربي حديث العهد بالذاتية والتجارب العاطفية، ولكن ثمة فرق بين العواطف الإنسانية العامة التي لا يكاد يخلو منها أدب إنساني في أي عصر أو أي مجتمع، والعاطفية التي تمثل موقفًا خاصًا من الحياة والطبيعة والمجتمع حتى تتحد صور الظاهرة المشتركة بين طائفة من الأدباء ، سواء في طبيعة التجربة أو في طريقة التعبير عنها .

---

١ ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٨٨ – ص٩ .

والحركة الوجدانية أو الرومانسية أو الرومانتيكية[1] حركة إيجابية تقوم على اكتشاف الفرد ذاته بعد أن ظلت ضائعة مقهورة في ظل عهود طويلة من الظلم والتخلف؛ بسبب ما عاناه عالمنا العربي من الاستعمار، وتقوم على اعتزاز الفرد بثقافته الجديدة ووعيه الاجتماعي وحسه المرهف وتطلعه إلى المثل الإنسانية العليا من حرية وكرامة وعدل وعفّة وعشق للجمال والكمال ونفور من القبح والتخلف، وقد حملت هذه الحركة من الناحية الفنية عبء التجديد والخروج من أسر الأنماط الشعرية القديمة المكررة على مر العصور، وابتكار صيغة شعرية حديثة يمتزج فيها التراث بالعصرية، وتكتسب فيها دلالات حديثة وقدرة جديدة على الإيحاء كانت قد فقدتها في الصيغ النمطية التقليدية، وتقوم فيها الصور الشعرية على مفهوم فني حديث ينتفع بالنظريات الجديدة في الأدب والفن والموسيقى واللغة .[2]

يقول أحمد زكي أبو شادي أحد أعلام هذا الاتجاه : "إني أوقن أن الكون في تحوّلٍ مستمرٍ، وأن الفكرَ الإنساني في تبدلٍ وتطورٍ، وأن ما نراه حسناً الآن قد لا يرضى عنه جيلٌ مقبلٌ، كما أننا لم نرضَ عن كثيرٍ مما استحسنهُ أسلافنا، ولكن كل هذا لا يعني أن جهدنا عديم الجدوى، ولن يطالبنا العقل أكثر من الوفاء لعصرنا، الحاضر خاصةً، ولجوهر الفكر الإنساني عامةً "[3].

وبرغم ما استقر في نفوس الكثيرين من أن الاتجاه الوجداني يرتبط بموضوعات بعينها كالطبيعة والحب، وبرغم ميل الشعراء الرومانتيكيين إلى

---

١ لم أتحيز إلى تسمية بعينها فالاتجاه الوجداني كترجمة ذائعة للرومانتيكية أو الرومانسية صارت كلها أعلاما على هذا الاتجاه المعروف .

٢ ينظر خليل مطران – الأعمال الشعرية الكاملة – جمع وترتيب د/ أحمد درويش – مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري – الكويت – الطبعة الأولى – ٢٠١٠م – ص١٦ .

٣ أحمد زكي أبو شادي – الشفق الباكي– المطبعة السلفية ومكتبتها – ١٩٢٦م – ص٤٠.

نحو التجارب العاطفية ومشاهد الطبيعة، إلا أن التجربة في ذاتها لا تصنع أدبا رومانتيكيًا أو كلاسيكيًا أو واقعيًا أو غير ذلك من المذاهب الفنية ، وإنما يتحقق ذلك بطبيعة موقف الشاعر من موضوعه وأسلوب تعبيره عنه ، فكل موضوع يمكن أن يكون في ذاته مجالًا لتجربة واقعية أو رومانتيكية بحسب تصور الأديب له، وموقفه منه، وتعبيره الفني عنه .

فليست الطبيعة والحب بجديدين على الشعر العربي ، ولكن الجديد فيهما عند شعراء الاتجاه الوجداني أنهما يمتزجان بوجدان الشاعر امتزاجًا يكاد يتحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الداخلي ، فتحمل التجربة دلالات أرحب من الدلالات المألوفة في التجربة العاطفية التقليدية .

ومن دوران التجربة حول الذات وانطلاق الصورة الفنية من الوجدان يتسم الشعر الوجداني بسمات فنية عُرف بها، من ميل إلى الصورة الخيالية والتجسيم والألفاظ الشعرية المحملة بدلالات شعورية غير مقيدة بمعانٍ مادية محدودة[١].

والشاعر الوجداني هو ذلك الشاعر الذي يرصد بوجدانه مجتمعا مشدودًا بين أطراف القديم ومشارف الجديد، وهو لهذا مجتمع مليء بالمتناقضات إلى حد يتجاوز التناقض الطبيعي في مجتمع مستقر، والشاعر في ظل هذا الجو المفعم بالتوتر يشعر شعورا عاما بما تنطوي عليه نفسه من تناقض بين الرغبة والمثل العليا، وبين الإرادة والقدرة ، وبين الانجذاب نحو الماضي والاندفاع نحو المستقبل .

لذا تكثر المقابلة في أشعار هؤلاء الوجدانيين فتكون محورا لكثير من صورهم الشعرية، فالشاعر الوجداني يلجأ لهذا اللون البلاغي حيث يراه قادرًا على التعبير عن حيرته في مجتمع يتجاذب بين القديم بكل ما فيه من عادات

١ ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص١٤ .

صارمة ، وبين الجديد بكل ما يحمله من ثورة على هذه العادات التي يراها بالية لا تتناسب وظروف عصره .

ولما كان شعور الشاعر الوجداني يصبغ صوره بلونه الخاص، ويبعد به عن الأنماط الموضوعية المألوفة في الشعر الكلاسيكيّ، فقد كان عليه أن يبتدع لنفسه معجما شعريًا جديدًا يعتمد على ألفاظ تشفّ عن إحساسه وترتبط بإيحاءات نفسية ووجدانية عديدة أكثر من ارتباطها بدلالات محدودة، ويختلف الشعراء الوجدانيون في هذا المجال بمقدار سيطرتهم على اللغة ومعرفتهم بالتراث، وحسب إدراكهم لإيقاع الألفاظ ودلالات رموزها .

فمنهم من يميل إلى استخدام المعجم الشعري المألوف عند بعض الوجدانيين القدماء كالشعراء العذريين في القرون الهجرية الأولى مع لمسات معاصرة تزاوج بين العراقة والحداثة، وقد كان شاعرنا فهد العسكر من أصحاب هذا الاتجاه؛ حيث تحمّل معجمه الشعري كثيرا من الألفاظ التراثية التي صيغت في ثوب عصريّ، وهذه الخصيصة تنم عن دراية العسكر الكبيرة بشعر القدماء وهضمه لهذا التراث وتشرب وجدانه به ، فهو مجدد، ولكنه مقرٌّ بما للقدماء من تراث شعريّ عريق، مطوّر لم ينسلخ من عباءة القديم .

ومنهم من ينتقي طائفة بعينها من الألفاظ يخلع عليها دلالات جديدة، ويتخذ منها رموزًا لإحساسه وموقفه من الطبيعة والمجتمع، بحيث يغلب على أسلوبه طابع التجديد والابتكار والحداثة الظاهرة ، وربما أسرف البعض في نزوعه إلى الحداثة وتأثره بأصول الرومانتيكية في الغرب فحشد في شعره طائفة من الكلمات الأجنبية ، وقد استعمل شاعرنا فهد بعض هذه الكلمات الأجنبية بصورة قليلة جدا .

ومن الأفكار السائدة عند هؤلاء الشعراء الوجدانيين أنهم عدلوا عن إطار القصيدة القديمة أو ما يسمى بالشعر العمودي في صورته القديمة إلى القصيدة القائمة على نظام المقطوعة، والحق أنهم قد زاوجوا بين النسقين ، وكان أغلب شعرهم – وبخاصة في المراحل الأولى – في إطار القصيدة

التقليدي ، فأصبحت القصيدة في الإطار التقليدي ذات مسحة عصرية غالبة في معجمها وعباراتها وبناء صورها.[١]

وشاعرنا العسكر في معظم أشعاره قد التزم النمط القديم، ولم يحد عنه إلا نادرا ؛ فحافظ على الوزن الواحد والقافية الموحدة والتزم عددا ثابتا من التفعيلات تماما كما يفعل القدماء، وقد كانت رومانتيكية العسكر في المضمون أكثر منها في الشكل .

ولما كان الاتجاه الوجداني قد بدأ مع حركة الأحياء أو بعدها بقليل في نهايات القرن التاسع عشر ، ثم نما مع حركات التجديد، والتي تمثلت في مدرسة المهجر وجماعة الديوان وأبولو حتى ازدهر في العقد الثالث من القرن العشرين، فقد عاصر فهد العسكر أخصب الفترات التي ظهر فيها الاتجاه الوجداني في العالم العربي، ونهل من كل المدارس الوجدانية بصورة جعلته أحد رواد ذلك المذهب في بلده خاصة وفي العالم العربي بصور عامة .

١ ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص١٦ .

السيرة الذاتية لفهد العسكر[1]

فهد العسكر شاعرٌ كويتيٌ أثار جدلًا كبيرًا في الكويت والخليج العربي منذ بداية كتابته للشعر، ويُعتبر واحدًا من كبار الشعراء الكويتيين الذين دعوا إلى التجديد والانفتاح على العالم الخارجي، نشأ في بيئةٍ محافظة تهتم بأمور الدين، مما ساهم في زيادة حبّه للغة العربية وشغفه بقراءة كتابات أهم الشعراء العرب على مرّ التاريخ.

تتلمذ على يدي الشاعر محمود شوقي قبل أن يشق طريقه بنفسه متبعًا أسلوبًا فريدًا خاصًا به، فكان مدرسةً أدبيةً وشعريةً، ولم يتبق من أشعاره إلا ما جمعه أصدقاؤه المقربون، والتي تحكي قصة عزلته وحياته البائسة؛ حيث تُوفي وحيدًا منعزلًا عن الناس بعد أن اختار الابتعاد عن أهله.

بدايات فهد العسكر

وُلد الشاعر فهد بن صالح بن محمد بن عبدالله بن علي العسكر الظفري المشهور باسم فهد العسكر في عام ١٩١٧م في الكويت، كان والده إمام جامع ومدرسًا للقرآن الكريم، فنشأ فهد على تعاليم الدين وأحكامه، وفي عام ١٩٢٢م التحق بالمدرسة المباركية وهي أول مدرسة حكومية تُبنى في الكويت، ثمَّ التحق بالمدرسة الأحمدية.

إنجازات فهد العسكر

بدأ شغف فهد العسكر بالشعر والأدب منذ تواجده في المدرسة المباركية، حيث قرأ شعر المتنبي وأبي تمام والفرزدق، في بداياته تعلّم على

---

١ ينظر معصية فهد العسكر – عقيل يوسف عيدان – دار العين للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠١٣م – ص٢٠٥ وما بعدها – وينظر أيضا:
https://www.arageek.com/bio/fahad-al-askar

يدي الشاعر الكبير محمود شوقي، ثمَّ وضع نهجه الخاص في كتابة الشعر المعاصر ليكون من أوائل شعراء التنوير في الكويت.

في تلك الفترة كان يقرأ كل ما تقع عليه يده من كتبٍ فلسفيةٍ ودينيةٍ وسياسيةٍ واجتماعية، ما أكسبه مزيدًا من الثقافة والانفتاح الذي كان يزداد وضوحه بالتدريج في أشعاره، وبدأ يواجه نظرات المجتمع غير المتقبلة لآرائه وأفكاره، وبالرغم من ذلك لم يرضخ للعادات واستمرَّ في تمرده وكتابة القصائد الناقمة على مجتمعه.

ازدادت شهرة فهد العسكر ووصلت إلى المملكة العربية السعودية، عندما مدح الملك الراحل عبد العزيز آل سعود بإحدى قصائده، وقام بغنائها وتلحينها المطرب عبد اللطيف الكويتي، فسمع الملك بالقصيدة وطلب مقابلة فهد العسكر وعيّنه كاتبًا لدى الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود، إلّا أنَّ فهد لم يحتمل العيش خارج بلاده، وطلب السماح له بالعودة إلى الكويت.

بالرغم من محبة والديه وتأمينهم له حياةً مريحةً في منزلهم، تعرّض فهد للكثير من العنت من قبل الرافضين لفكره، وقد عبّر في إحدى قصائده عن حالة الاستياء والانعزال التي وصل إليها قائلًا :

نصيبك يا نفسي شقاء وحرمان

وحظي من الأيام زور وبهتان[١]

قرر فهد العسكر بعد وفاة والده أن يعيش وحيدًا؛ ليتفرغ لكتابة الشعر، وهنا بدأت معاناته الجديدة مع والدته وشقيقه حيث رفضا رغبته في حصوله على ميراثه من والده، وقد كتب قصيدة تعبيرًا عن حزنه من فعل والدته، وشكا فيها الوحدة والألم يقول فيها:

---

١ وهذه القصيدة ليست من بين قصائده التي جمعها الأنصاري ويظهر أنه أعدمها مع القصائد الأخرى التي كان يخفيها عن الناس، وقيل إن أهله أعدموها. ينظر http://www.3rbi.info/Article.

كُفّي الملام وعلليني

فالشكُّ أودى باليقين

وتناهبت كبدي الشجونُ

فمن مجيري من شجوني؟

وأنا السجينُ بعقرِ داري

فاسمعي شكوى السجينِ[1]

انفصل بعد ذلك عن والدته وشقيقه وانتقل للعيش بمفرده، حيث أمضى سنواته الأخيرة منعزلًا عن المجتمع، وفقد بصره، ولم يكن يزوره إلا بعض الأصدقاء وفي بعض الأحيان والدته، ولم يكتب في تلك الفترة سوى قصيدة واحدة مدح فيها الأمير الحادي عشر للكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح، وقال فيها:

جاءَ الربيعُ وأنت راقد

قم واشدُ يا ربَّ القصائد

وكانت تلك القصيدة آخر ماكتبه قبل أن يقضي نحبه .

وفاة فهد العسكر

أُصيب فهد العسكر بمرض السُّلّ، وعانى في أيامه الأخيرة من فقدان البصر حتى تُوفي في الخامس عشر من شهر أغسطس سنة١٩٥١م في مستشفى الأميري بالكويت، في الرابعة والثلاثين من عمره .

صلّى على جثمانه إمام جامع المديرس الشيخ عثمان عيسى العصفور، بغياب كامل لعائلته؛ حيث لم يحضر جنازته أكثر من خمسة أشخاص، ودُفن في المقبرة العامة.

---

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة الخامسة – ١٩٩٧م – ص١٢٧ .

وبعد وفاته أحرق أقاربه جميع مؤلفاته وأشعاره ولم يبق منها إلا ما حفظه أصدقاؤه ومحبوه، حيث جمعها الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري الذي نشر في عام ١٩٥٦م كتابًا يتحدث عن السيرة الذاتية للشاعر فهد العسكر، ويضم ما تبقى من أشعاره .

كرمته مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين في عام ٢٠٠١ بإصدار جائزةٍ شعرية باسمه، كما صدر في عام ٢٠٠٩ طوابع بريدية باسمه تخليدًا لذكراه.

قال عنه فاروق شوشة : هذا شاعر سبق عصره وجاء قبل أوانه بعشرات السنين فكان اصطدامه العنيف بمجتمعه الكويتي، تقاليد وأوضاع اجتماعية وثقافة حياة، ولم تكن صرامة الواقع وجهامته الغليظة لتسمح له ببعض الحرية، أو بالتعبير الصريح عن الذات، من هنا كان انكفاؤه وتوحده، ثم انعزاله ولزوم محبسه الذي اختاره لنفسه، بعد أن اتُّهم بالكفر والمروق والعصيان، وعندما هيّأت له الأقدار فقدان البصر، ظل وخز بصيرته يدميه، ويؤلّب عليه جيوش الظلام الموغل، حتى وافته المنية في عام ١٩٥١ قبل أن يكمل عقده الرابع، وسنه نيّف وثلاثون، وتكفّل أهله بخاتمة الفجيعة حين أحرقوا ما وقع تحت أيديهم من شعره، الذي أفلت منه أقل القليل[١].

وفي هذا القليل من شعر شاعر الكويت الفذ فهد العسكر دلائل على عبقريته وتفرده، واتساع عالمه الشعري ورحابته، وعمق تناوله لتجارب الوجود الإنساني فضلًا عن لهيب الثورة والتمرد في قصائده التي هتف بها بعض مؤيديه جهرًا ورددها معظم مريديه سرًا، وتبادلها المجتمع كلُّه من موقع الدهشة والغرابة أو النفور والاستنكار.

ولم يكن فهد العسكر بعيدًا عن حركات التجديد الشعرية التي صبغت سماء الشعر في ثلاثينيات القرن وأربعينياته بألوانها وظلالها وإيقاعاتها

١ فاروق شوشة – مقالة بمجلة العربي – فبراير ١٩٩٦م – www.3rbi.info .

وتجاربها الشديدة الجدة والاختلاف، وفي مقدمتها شعر المهجر وشعر جماعة الديوان وشعر جماعة أبولو، لذا فإن شعره يتسم بعمق النزعة الوجدانية الموغلة في التأمل والاستيطان التي تبنتها جماعة الديوان ممثلة في روادها الثلاثة : عباس محمود العقاد وإبراهيم عبدالقادر المازني وعبدالرحمن شكري .

كما يتسم شعره بشمول النزعة الإنسانية التي تبنتها جماعة المهجر ممثلة في آثار جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي وأمين الريحاني وشفيق معلوف، فضلًا عن النزعة العاطفية المسرفة التي اتسمت بها أشعار جماعة أبولو ممثلة في شعر إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل ومحمد عبدالمعطي الهمشري وغيرهم وهي نزعةٌ أطلقت العنان للخيال المجنح، وتدفقت روافدها بالحزن الشديد والتشاؤم العدمي، واتسعت في الكثير من نماذجها لغنائيات الطبيعة، خاصة في صورتها الريفية رمزًا للنقاء والبراءة، وأصبح لأصوات الطبيعة وكائناتها الحية وجود شعري بارز، حافل بالدلالات والرموز والإيحاءات.

كان فهد العسكر ثائرًا ومجددًا في مجتمع ساكن، وكان مستقبليًا في حياة ترتد إلى الوراء وتجمد عند اللحظة الحاضرة في ثبات وتحجر، وكان ينفخ من روحه الوثابة في قصيدته الجديدة بما يصدم عقول الناس وأذواقهم، وكان يبدع قصيدة الصدق وسط حياة أدبية تملؤها قصيدة الزيف والصنعة والتقليد، ويحطم القيود التي كبّلت أرواحًا استسلمت للعبودية واستكانت للرق، وهو بهذا المعنى شاعر فيلسوف تنساب ومضات فلسفته في شعره، وتختفي وراء أقنعة الرمز والإيحاء، ويتطلب التواصل معها قراءة متأنية فاحصة تكافئ ما بذله الشاعر في شعره من جهد إبداعي، وما رسمه من صور شعرية جديدة مركبة، وما بثّه من إيقاعات داخلية تواكب حركة النفس، وتوائم جو القصيدة وطقسها الأساسي، بينما فضاء القصيدة مفتوح دومًا على آفاق الدهشة والتساؤل[1].

وأنا وإن كتبت عن العسكر مشدودا بعاطفته الجياشة التي تنساب من خلال أشعاره، إلا أنني لا أقرّ – جزما – بأبيات للشاعر يصف فيها جسد محبوبته وصفا خادشا للحياء ولا بأبيات له يذكر فيها نشواه بشرب الخمر ، فكل ما يتنافى مع

١ فاروق شوشة – مقالة بمجلة العربي – فبراير ١٩٩٦م – www.3rbi.info .

الشرع من شعر الشاعر لا أقرّه ولا أرضاه ، وقد حاولت قدر جهدي أن أبرز جماليات شعر العسكر متجنبًا في ذلك أي شعر يخدش الحياء أو ينافي الفضيلة ، مع إيماني الشديد برسالة الأدب التي لابد أن تتوافق وقيمنا العربية الأصيلة المستقاة من ديننا الإسلاميّ الحنيف ، والله من وراء القصد.

أسباب اختيار الموضوع

سبب اختيار الموضوع كون الشاعر من رواد الاتجاه الوجداني، لا سيما في الكويت، بالإضافة إلى قلة الدراسات التي عُنيت بهذا الشاعر الفذّ الذي اتضح في شعره أصول الاتجاه الوجداني برغم ثقافته العربية الأصيلة إلا أنه واءم ببراعة بين ما قرأه من شعر كلاسيكي له أصوله وروافده، وبين تيار جديد ارتآه الشاعر مناسبًا لذاتيته وتجاربه في الحياة .

المنهج المتبع في الدراسة

المنهج الذي ارتأيته مناسبًا لهذا الموضوع هو المنهج التحليلي؛ حيث إن البحث سيتطلب قراءة النصوص وتحليلها للوقوف على أصول الرومانتيكية في شعر فهد العسكر، وقد حاولت جاهدًا سبر أغوار شعره ؛ للإحاطة بكل هذه الأصول قدر جهدي وساعدني في ذلك ذاتية الشاعر إلى حد كبير ، بالإضافة إلى ولعه بالطبيعة والمرأة في معظم أشعاره .

أهم الدراسات السابقة

– فهد العسكر حياته وشعره لعبد الله زكريا الأنصاري . جمع فيه الكاتب ما تبقى من شعر العسكر الذي فقد منه جزء قد تعرض للإحراق من قبل أقاربه .

– معصية فهد العسكر لعقيل يوسف عيدان . يبرز فيه الكاتب أصول الوجودية وملامحها عند فهد .

وكلا الكتابين بعيدان كل البعد عن هذا البحث الذي ينقب عن جذور الرومانتيكية عند فهد العسكر .

ملامح الاتجاه الوجداني عند فهد العسكر

توفر لفهد العسكر معظم الدوافع التي تحدو به إلى الاتجاه الوجداني في حياته؛ فالشاعر لم يتكلف السير في طريق الشعر الوجداني، بل كانت حياته وما مر به من صعاب ومشكلات هي الباعث الحقيقي على هذه التجربة، ولعل هذا ما جعل النقاد تلمس في شعر فهد صدقًا شعوريًا، فقد كان شعره مرآة لحياته، وصورة صادقة معبرة عن معاناة شاعر أبت نفسه الرضوخ لسيطرة عادات مجتمعه، والخضوع للتقاليد – التي رآها هو – تتنافى وروحَه المتمردة الثائرة .

وأريد أن ألفت النظر إلى مسألة هامة ، وهي أن عمدة الدراسة تتمثل في بيان ملامح الاتجاه الوجداني عند فهد العسكر ، إلا أنني احتجت في بعض الأحيان إلى ذكر نماذج لشعراء آخرين من هذا الاتجاه، ليس تعميمًا للدراسة، وإنما للاستشهاد بأن هذه الظاهرة أو تلك القضية هي من المسائل المشتركة عند كثير من الرومانتيكيين، لم ينفرد بها العسكر، بل تمثل ظاهرة شائعة عند معظم شعراء الاتجاه الرومانتيكي، فأفضل ما يمكن الاستشهاد به على شيوع القضية عندهم هو الاستشهاد بأشعارهم في المقام الأول ، وذاك أجدى من الاستشهاد بكلام نقاد رصدوا التجربة من خلال ما درسوه من شعر لشعراء الرومانتيكية ، وإن كان لا غنى أيضا عن تعليقات نقادنا الكبار .وفيما يلي نبين هذه الملامح مفصلة من خلال شعره.

١- الولوع بالطبيعة

الشاعر الوجداني بصورة عامة وفهد بصورة خاصة في تطلعه للحرية يفر من نفسه ومن مجتمعه – بكل ما فيه من قيود تحد من إطلاق الشاعر لجماح النفس – إلى الطبيعة ، حيث يجد العسكر في الطبيعة وصفائها وجمالها ورحابتها ما يفتقده في حياته الباطنية الحافلة بالصراع، وفي حياته الاجتماعية المليئة بالتناقض ، ويتخذ من بعض مشاهدها رموزًا لمعاني الحرية الشاعرية والانطلاق البريء، فالفراشة والزنبقة والبلبل وغيرها تمثل لديهم الانطلاق في رحاب من الجمال بهدي من الفطرة ووحي من السماء [١] .

على أن شاعرنا العسكر في معالجته لمظاهر الطبيعة في شعره قد يكتفي أحيانا بالإشارة إلى ما ركب في هذه الكائنات من هيام بالجمال وعشق للحرية كقوله:

طلَعَ الفَجْرُ غَنِّ يا قُمْريَّهْ
واطْرِبِي الرُّوحَ بالأَغاني الشَجِيَّهْ
واشْدُ يا طَيْرُ بالغُصون وأَيقِظْ
بأَناشيدِكَ الزُّهور النديَّه
ملأَ الفَجْرُ أَكوُسَ الورْدِ راحاً
لكَ تُزْري بالصِّرْفةِ البابليَّه
فإذا ما اصْطبحْتَ يا طيْرُ عبّر
ما رأَى الورْدُ من رؤى سحرِّيه
وتَقَبَّلْ وأَنْتَ نَشْوانُ شادٍ
قُبَلاتِ النَّسائِمِ العِطْريَّه
هَا هُو الصُّبْحُ قد تَبدَّى تُحَلّى

---

١ ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٨٨ – ص٣٠٠ .

ثَغْرَهُ الحُلْوَ بسْمةٌ ورْديَّه

وَانْظُرِ الكَوْنَ كيفَ يرْفُلُ يا

طَيْرُ بتلكَ الغَلائِلِ العَسْجَديَّه [1]

فالشاعر يقلب بصره في الطبيعة من حوله ، ويرسم لوحة معبرة إلا أننا لم نلحظ من خلال الأبيات إلا أنها وصف مجرد لم يربطه الشاعر بحالة خاصة من حالاته ولم يرمز بها إلى شيء مما يروم الحديث عنه .

وأحيانا يلحُّ في الدلالات فيرسم للطبيعة صورة مركبة يمتزج فيها الرمز بما يحوطه من مظاهر الطبيعة حتى ينتهي إلى لوحة متكاملة الأجزاء والدلالة كقوله:

يا ليتني فوق الغصون حمامة

لأنوح بالآصال والأسحار

عَلّي أرى في الروض من يُفضي

إليّ بسرّه وأبثّه أسراري

أو أنّني بين النسائم نسمة

لأبشّر الأطيار في آذار

وأطوف بعد الأرض آفاق السما

لأرى مكان حبيبي المتواري

يا ليتني بين الورود فراشه

تروى الصدى من أكؤس الأزهار

حتّى إذا شفت الغليل تعطشت

للموت واندفعت بجوف النار

أو أنني يا فجر قبّرة أرف

رف في جناحي بالفضاء العاري

---

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١١٥ .

لأردّد النغمات سكرانا

بخمر الحسن قبل تألّق الأنوار

يا ليتني بين الروابي ربوة

خضراء مشرقة على الوديان

لأكون منبر كل طير صادحٍ

ويكون سفحي مسرح الغزلان

أو أنني وسط الحدائق جدول

ينساب بين الورد والريحان

لترفرف الأطيار فوق مياهه

سكرى ترجّع أعذب الألحان

يا ليتني طير لأسبح في الفضا

وأؤوب مغتبطاً مع الأطيار

أو بلبل لأشنّف الأسماع بالنـ

ـغم الرقيق على ذرى الأشجار

أو أنني للعود أمسي ريشة

لتمرّ بي الأيدي على الأوتار

لأبثّها شكوى الهوى فلعلّها

ترثي لحال العاشق المحتار

يا ليتني يا ليتني قمريّة

لائنّ بالإصبـاح والإمساء

عليّ أثير بقلب كلّ مليحة

عطفًا على البؤسا من الشعراء

أو أنّني وسط الرياض خميلة

لأعطّر الأجواء بالأشذاء

أو وردةٌ صاغ الربيع جمالها

لترشّني الأصباح بالأنداء

فلكم تراءى لي الخيال حقيقة

فيخالني الرائي صريع عقار

فأفيق مذهولاً وأهتف من أنا

فأجاب مجنون بعقر الدار

يا حبّ بين يديك نفسي تشتكي

أفما كشفت غوامض الأسرار

يا حبّ أحلام الغرام جميلة

رحماك فهي قصيرة الأعمار[1]

والعسكر في هذه التجربة يلامس الرومانسية في تصورها للطبيعة وتعبيرها عنها بالألفاظ الموحية واللفتات الخيالية التي لا يحد من انطلاقها اتزان العقل.

وشاعرنا يلمس في هذه الأبيات ما تتمتع به الكائنات من صفاء الحياة وخلو حياتهم من الكدر الذي يصيب البشر فيتمنى لو كان واحدًا من هذه المخلوقات، يتمتع بما يتمتعون به من الحرية والانطلاق بلا قيد، فيشارك الطبيعة لهوها البريء.

والبلبل عند الرومانسيين عمومًا رمز للحرية؛ حيث يتخذون من غنائه دليلا على سعادته بما هو فيه من حرية وهو إذا كف عن الغناء لا بد أن يكون في قبضة أسر أو غم أو فقد، وما أكثر ما شبه الشعراء قول الشعر بغناء الأطيار، يقول شاعرنا:

قم واصطبح فكؤوس الورد مترعة

من خمرة الفجر إن الفجر قد بانا

وارقص وصفق وطر واهتف وغن به

---

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢٣٢ – ٢٣٣ .

وحيه واسكب الأشواق ألحانا

كم نغمة صغت من إلهام روعته

ووحي طلعته فاصدح بها الآنا[١]

وشبهوا الشاعر الذي كف عن قول الشعر بالبلبل الحبيس أو الثاكل الحزين:

قد طال هجرك يا ربيع فيا لتعاسة الأطيار والزهر[٢]

وشبه محبوبته بالطائر الذي وقع في شراك الصياد حين عجز الشاعر عن الزواج منها، وتزوجها شيخ كبير يملك المال ، يقول :

إنْ جُعتَ يا صيادُ ويحك لا تتعبْ وخلِّ الصيدَ في الشجرِ

وتعال حدثنا وصــلِّ بنا وأكــل كغيرِك أطيبَ الثمرِ[٣]

إن إقبال العسكر على الطبيعة (وإن ظهر في أغلبه تطلعا إلى الحرية الذاتية واحتجاجًا على المجتمع والحياة) يعود في جانب منه إلى ما عرف عن الشاعر الرومانتيكي بصفة عامة من عشق للجمال في جميع مظاهره، ويتلوّن جمال الطبيعة عنده حسب مزاج الشاعر وأحواله النفسية، حتى توشك عناصر الطبيعة أن تفقد لديهم وجودها الواقعي فيصبح المشهد الواحد في قصيدة ما غيره في قصيدة أخرى، سواء في مظهره الخارجي أو دلالته النفسية والعاطفية .

فبينما يرى مطران في مشهد الغروب صورة تجسد نهايته ، فصبغ صورة الكون بشفقه وقت الغروب بلون دموي يبعث على الأسى والحزن ، ويشفُّ عن نفس ممزقة قد أضناها الحب وأدماها الفراق، فنراه يقول في قصيدته المساء:

يَـا لَلْـغُرُوبِ وَمَـا بِـهِ مِـنْ عَـبْـرَةٍ

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٨١ .

٢ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص ١٥٦ .

٣ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص ١٥٦ .

لِلْـمُـسْـتَـهَـامِ وَعِـبْـرَةٍ لِـلرَّائِـي!

أَوَلَـيْـسَ نَـزْعًـا لِـلـنَّـهَـارِ وَصَـرْعَـةً

لِـلـشَّـمْـسِ بَـيْـنَ مَـآتِـمِ الْأَضْـوَاءِ؟

أَوَلَـيْـسَ طَـمْـسًـا لِلْـيَـقِـينِ وَمَـبْـعَـثًـا

لِـلـشَّـكِّ بَـيْـنَ غَـلَائِـلِ الـظَّـلْـمَـاءِ؟

أَوَلَـيْـسَ مَـحْـوًا لِلْـوُجُـودِ إِلَـى مَـدًى

وَإِبَـادَةً لِـمَـعَـالِـمِ الْأَشْـيَـاءِ؟

حَـتَّـى يَـكُـونَ الـنُّـورُ تَـجْـدِيـدًا لَـهَـا

وَيَـكُـونَ شِـبْـهَ الْـبَـعْـثِ عَـوْدُ ذكَـاءِ

وَلَـقَـدْ ذَكَـرْتُـكِ وَالـنَّـهَـارُ مُـوَدِّعٌ

وَالْـقَـلْـبُ بَـيْـنَ مَـهَـابَـةٍ وَرَجَـاءِ

وَخَـوَاطِـرِي تَـبْـدُو تُـجَـاهَ نَـوَاظِـرِي

كَـلْـمَـى كَـدَامِـيَـةِ الـسَّـحَـابِ إِزَائِـي

وَالـدَّمْـعُ مِـنْ جَـفْـنِـي يَـسِـيلُ مُـشَـعْـشَـعًـا

بِـسَـنَـى الـشُّـعَـاعِ الْـغَـارِبِ الْـمُـتَـرَائِـي

وَالـشَّـمْـسُ فِـي شَـفَـقٍ يَـسِـيلُ نُـضَـارُهُ

فَـوْقَ الْـعَـقِـيـقِ عَـلَـى ذُرًى سَـوْدَاءِ

مَـرَّتْ خِـلَالَ غَـمَـامَـتَـيْـنِ تَـحَـدُّرًا

وَتَـقَـطَّـرَتْ كَـالـدَّمْـعَـةِ الْـحَـمْـرَاءِ

فَـكَـأَنَّ آخِـرَ دَمْـعَـةٍ لِلْـكَـوْنِ قَـدْ

مُـزِجَـتْ بِـآخِـرِ أَدْمُـعِـي لِـرِثَـائِـي

وَكَـأَنَّـنِـي آنَـسْـتُ يَـوْمِـي زَائِـلًا

فَـرَأَيْـتُ فِـي الْـمِـرْآةِ كَـيْـفَ مَـسَـائِـي[1]

---

١ خليل مطران – الأعمال الشعرية الكاملة – ص١٠٥– ١٠٦ .

ونحن بحاجة لمقارنة العسكر بغيره من شعراء الرومانتيكية؛ حتى تتضح الصورة، فمطران قد التحمت نفسه بمشهد الغروب فأضفت على الكون كآبة وحزن نابعة من صميم نفسه المعذبة الحزينة، فهو يشعر أن الكون ساعة الغروب يشاطره تلك الحالة، أو أن ما في الكون من ظلمة هو نتاج ما يقاسيه الشاعر من أحزان .

وشاعرنا العسكر يرى في مشهد الغروب ما يراه مطران، ففي قصيدته "الشاعر والغروب" يرى في مشهد غروب الشمس داعيا يهيج بكاءه ويزيد بؤسه، فيصور الشمس وقت غروبها بالشخص الشاحب الذي تغير لونه من جراء الإعياء الذي انتابه، وهو ذاته الشحوب الذي ألمّ بالشاعر، فالعسكر كمطران رأى في غروب الشمس مرآة تعكس وجدانه المعذب، ولكن العسكر استرسل وأكمل الصورة ولم يتوقف عند مشهد المغيب كمطران، بل صور لنا الليل عدوا يهجم بأشباحه ليزيد ما بالشاعر من حزن واضطراب.

أيّهذا الشاعر المغترب الباكي أصيلا

حسبك الله تجلّد واتّئد واهدأ قليلا

وأصِخْ لي واتخذني يا أخا البؤسِ خليلا

فكلانا لم يجد إلا إلى (الآل) سبيلا

يارفيقي يارسول الحبّ في دنيا القلوبِ

مالذي أشجاك ؟ هل سُخريةُ الآلِ الكذوبِ

أم شحوبُ الشمسِ أم ماتركت بعد الغروبِ

أم هجومُ الليلِ بالأشباحِ في الشاطي الصخوبِ

كفكف الدمعَ فما أثمن دمع البؤساءِ

هو عند الله أزكى من دماءِ الشهداءِ

وادّخر ماتركت منه العوادي للشتاءِ

عندما تهتفُ ذكرى الصُبحِ في صمت المساءِ

هاكَ كوبي واغتبق في مأتمِ الفصلِ الغَضُوبِ

علَّ في النهلةِ مايشفي ولو بعضَ الريوبِ

والتمس للنفسِ والقلبِ عزاءً في شُحوبي

فالخطوبُ الغُبر لم تترك بكفّي غير كوبي

ياطريد الدهرِ والنحسِ قرين الشُعراءِ

سائل الليل فبي مابك من داءٍ عَياء

وكِلا الداءين من دنيا المآسي والعناءِ

فالأذى والبؤسُ فيها حظُّ أبناء السماءِ

إن تسلني فانا ابن الريبِ مذ كنتُ صبيّا

آه ما أشقى الذي يوهب حسّاً شاعريًا

الشجَى والأرَقُ امتصا السنى من مُقلتيّا

كذبوا والله لم أُطفىء سراجي بيديّا

كم رمى الأوغادُ والأهدافُ أفذاذٌ كرامُ

آثروا الصمت وغبنٌ أن يصابوا وحرامُ

وقديماً قالها شاعرنا الفحلُ الهمامُ

"ما أنا منهم ولكن معدنُ التبر الرَّغامُ"

الأكاذيبُ –وقد طال سكوتي والقعودُ–

أصبحت رائجةً ، لاعاشَ في الناسِ الحسودُ

يُوقدُ النارَ فيصلاها ، وتخبو ، فيَعودُ

والأراجيفُ سلاحٌ والنّميماتُ جنودُ

آه من عا صفةٍ هوجاءَ في نفسي الشقيّة

زلزلت قلبي ، وأودت برؤاهُ الذهبية

أنا في طخياءَ كم للهمِّ فيها من ضحيّة

لم تغيِّب شاعراً إلا ووافته المنية[1]

---

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢٠٠ – ٢٠١ .

فكلا الشاعرين: العسكر ومطران قد رأيا في مشهد الغروب إرهاصات المنية، إلا أن مطران قد كان متأثرا بفراق محبوبته، والعسكر تأثر بكلام حُسّاده وشانئيه ممن ينسجون حوله الأراجيف والأكاذيب، وهو عاجزٌ عن تبرئة نفسه فبات ضحية الهمّ وفريسة القلق .

الليل في شعر العسكر

قلَّ أن تجد للعسكر قصيدة تعتني بتصوير جمال الطبيعة تصويرًا خالصًا لذلك الجمال وحده، بل لا بدّ أن تتخلله بصورة أو بأخرى حالات الشاعر من فرحة وحزن وأمل ويأس إلخ .

اتخذ العسكر من الليل وسيلة يبث من خلالها همومه ويعبر عن ضجره بالحياة والناس، فالليل عنده قد يكتسب بعدًا أعمق وأرحب، فيجد الشاعر فيه مؤنسا يشكوه آلامه وأحزانه، يقول العسكر :

يا ليلُ ضاقت بشكوايَ الصدورُ وما
ضاقَت بغلٍّ وأحقادٍ وأضغان
فجئتُ أشكو إليكَ المرجفينَ وهم
لا درَّ درُّهُمُ أسبابُ خذلاني
يا ليلُ والروح عَطشى وهيَ هائِمةٌ
هَل في المجرّةِ من ريٍّ لعطشانِ
يا ليلُ والنفسُ غَرثى وهيَ حائرةٌ
فهَل بنَجمِكَ من زادٍ لغَرثانِ
يا ليلُ والعينُ سهرى وهيَ دامعةٌ
فهَل بجُنحِكَ من راثٍ لسَهرانِ
يا ليلُ حَسبي وصدري ملؤهُ ضرمٌ
تلكَ البقيَّةُ فافتَح صَدركَ الحاني
فكَم بهِ لمَسَت روحي العزاءَ وقد
أودَعَتهُ سرّ آلامي وأشجاني

يا ليلُ أينَ الكرى بل أينَ طيفهُم

فكَم بوادي الكرى يا ليلُ واساني

وكم هَفَت وَصَبَت نفسي إلى حُلُمٍ

مُجنّحٍ راقصٍ في النورِ نَشوانِ

حُلمٌ يرفُّ على لالاءِ مَبسِمها

ليلاً ويَصدرُ صُبحاً غيرَ صَديانِ [1]

التفت الشاعر إلى بعض مشاهد الليل، وانتقى منها ما يرتبط بالتشاؤم والخوف أو ما يبعث كامن الأشجان ويثير الأوهام والهواجس، مصرحًا خلال ذلك بهمومه ووحدته متسائلا في حيرة عن سر كآبته الدائمة المجهولة، وشاعرنا يصرح بأن الذي يملؤه من الحزن والهم ليس مصدره الأحقاد والأضغان وإنما مبعثه هؤلاء المرجفون المروجون للأكاذيب فهو يبحث عن صديق يرأف لحاله فلم يجد إلا الليل مؤنسا ورفيقا .

الخليج العربي في شعر العسكر

خرج حديث الشاعر إلى الخليج كحديثه إلى الليل؛ فهو الخليل الذي يبثه آماله الضائعة وآلامه المكتمة وشكواه من هؤلاء المنتفعين المرتزِقة الذين لا يحسنون سوى المداهنة والكذب والتزلف لذوي النفوذ والسلطان، يقول العسكر:

يا ضفافَ الخليجِ أخمَدتَ

إحساسي وماذا تجني وراءَ خمولي

غيرَ حرقِ البخورِ في كلّ آنٍ

وضروبِ التزميرِ والتطبيل

فاطغَ يا بحرُ آن أن تطغى واغمُر

كلّ ربعٍ منَ الربوعِ محيل

---

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٤١ .

وانعَقي يا بومُ انعقي لا تخافي
وانعَبي يا غربانُ فوقَ الطلول
واصرَخي يا جنوبُ في كلّ وجه
كالح واعصِفي بجفنِ الدخيلِ
وقفي يا شمسَ الهجير وصُبّيهِ
لعاباً يَغلي ببطنِ الأكولِ
واخرجي يا أشباحُ في غَيهَبِ
الغي وطوفي بطغمةِ التدجيل
وارقُصي وانفُثيه سما زعافاً
يا أفاعي الخنا بكل رذيلِ
وانهشي يا عقاربَ الحقدِ من
خصمي بقايا فؤادهِ المأكولِ
والفُظِ الروحَ يا فقيرُ ولا لـ
ومَ على مَذبحِ المرابي الكسولِ
وانثُرِ الشوكَ أيّها الأرقُ المرُّ
على مضجعِ الدعيّ الملولِ
واغسلِ النفسَ أيها الخائنُ النادمُ
بالدمعِ فهوَ خيرُ غسولِ
والطمي الصدرَ يا ابنةَ الطَ
هر وابكيهِ فللّهِ قلبُ كل ثكولِ
يا ضِفافَ الخليجِ حطّمتَ آما
لي وأثقلتَ كاهلَ المسؤولِ
أنتَ يا مسرحَ الأسى والرزايا
وصُنوف العذابِ والتنكيلِ
ضِقتَ بي والجناحُ منّى مهيضٌ

يا لَحُزني وحيرَتي وذُهولي
لم يَطب لي لولا الحبيبُ مقام
بك يا سجنَ كل حرّ نبيلِ
فحياتي روايةٌ ذاتُ فصلٍ
واحدٍ فيكَ وهيَ ذاتُ فصولِ
أنا مثّلتُها على مسرحِ الحرمان
والبؤسِ وانتَهى تمثيلي
وبقَلبي داءٌ وفي النفسِ ما فيها
وعاثَ الضنى بجسمي النحيلِ
وبصَدري سرٌّ دَفينٌ فوا
خوفي عليهِ من قلبيَ المتبولِ
آهِ مَن لي ولَو ببعضِ التأسّي
أنا إن لم أمُت فبعدَ قليلِ
احفروا لي قبراً على شاطىء البحر
سميري في وحدَتي ومُقيلي
لم تَطِب لي دُنيا الشقاءِ فوا
لهفي وشَوقي للعالمِ المجهول
يا ضِفافَ الخليج شرّدتَ
أحلامي فدَع لي عواطفي ومُيولي[1]

إلا أن الشاعر هنا يطلب من الخليج وما حوله من مظاهر الطبيعة أن تنتقم من هؤلاء المفسدين العابثين بمستقبل وطنه، فيطغى البحر وتنعق البوم والغربان وتعصف بهم رياح الجنوب وتذيقهم الشمس من لهيبها صنوفًا

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص ١٤٦ – ١٤٧ .

من العذاب ، ولتخرج الأفاعي والعقارب من جحورها لتنفث سمومها في خصوم العسكر الذين دنسوا الطهر ولوثوا الشرف وأرّقوا حياته وأقلقوا نومه .

وشاعرنا في أبياته قد جمع بين تليد التشبيه والتعبيرات وطريفها فذكر جناحه المهيض وقلبه المتبول وإثقال الكاهل وتلك الصور والتعبيرات قديمة متكررة في الشعر القديم ، واستعمل الطريف الحديث الذي شاع عند الرومانسيين بصفة عامة كقوله "أخمدت إحساسي" و"مسرح الحرمان" و"مسرح الأسى" و"الأرق المر" و"صبّيه لعابا يغلي" و"أفاعي الخنا" و"عقارب الحقد" و "مذبح المرابي" و"طغمة التدجيل" و"اغسل النفس" و"حياتي رواية" ، وهذا دأب العسكر في جل قصائده؛ حيث ينزع إلى التطوير والحداثة مع أصالة راسخة في أعماقه تبدو واضحة في ثنايا التعبيرات والصور .

الربيع في شعر العسكر

استهل الشاعر فهد قصيدته في مدح أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح بمناسبة توليه زمام الحكم في الكويت عام ١٩٥٠م بمقدمة يصف فيها قدوم الربيع، فهو يشبه قدوم الأمير على الكويت بقدوم الربيع على البلاد، ولعل استفتاحه القصيدة بتلك المقدمة الوصفية قد شابه فيها الشاعر القديم الذي يبدأ بمقدمة طللية غزلية ثم يدلف إلى مدحه ، إلا أن العسكر وهو الشاعر الرومانتيكي المنزع الثائر على القديم المتشبع به في ذات الوقت قد عدل عن وصف الديار التي عفت إلى وصف مظاهر الطبيعة في الربيع، فلم يفلت من القديم في البدء بمقدمة ، ولم يتخل عن وجدانيته في اندماجه بالطبيعة .

ولعل ما يسوغ البدء بمقدمة وصفية لقصيدته في المدح هو مقامه بين يدي الأمير الذي يحكم جزءا من أرض الجزيرة العربية، وهي البيئة التي ابتدعت هذا النهج التليد للقصيدة العربية، يقول شاعرنا العسكر :

جاءَ الربيعُ وأنت راقدٌ

قم واشدُ يا ربَّ القصائد
ما للبلابل حين يبتسم
الصباح وللمراقد
لك في الرياض أسرّة
لا كالأسرّة والوسائد
قم حيّه فيها وصغ
ببهائه أسنى الفرائد
غرّاء يغضي النيران
لضوئها قبل الفراقد
والدر في الأصداف قب
ل الدر في جيد الخرائد
تروي محاسنها الكواكب
للعرائس والنواهد
غرّد فكم أطربت مع
بوداً وكم جنّحت عابد
أسكر بها الوادي على
فرح الأقارب والأباعد
ودع الحداة يرقّصون بها
الدراري في الفدافد
وذر الخليج بها يعيذ
عروسه من كل حاسد
وأضف إلى الغرر الخوالد
حليةً تسبي الخوالد
من درّك الغالي وغالي
الدر يهدى للأماجد

والشاعر الحرّ الأبيّ
يصونه والسوق كاسد
والشعر ما هفت النفوس
له وبعض الشعر فاسد
والشعر ما اضطرم الشعور
به وإلّا فهو بارد
والشعر في الأشراف حيّ
خالد والمال نافد
ولآلىء الوجدان ظلم
أن تصاغ لغير ناقد
والصائغ الموهوب تلمع
في قلائده قلائد
أهلاً وسهلاً بالربيع
بمن به دنت الشوارد[١]

ومما تميزت به تلك القصيدة كونها قد تضمنت تعريفًا للشعر من وجهة نظر العسكر، فالشعر عنده ما تحركت النفوس شوقًا إليه فهو يجذبها بما يملكه من سلطان على قلوب المحبين له، والشعر ما ألهب المشاعر وأجج العواطف وأثار الوجدان، والشعر لآلئ صاغتها يد الصائغ لا يدرك قيمتها إلا الناقد الحاذق الذي يقدّره، وهو يشبه الشاعر بالصائغ الذي لمعت في يده المعاني كما يلمع الذهب المصقول، ونراه في تعريفه متأثرا بمعاني الشعر عند الوجدانيين، يقول مطران بشأن هذا المعنى: "كذلك حاولت أن أصنع شعري، وأعرف أنني لست من العلم واقتدار الفكر في المكان الذي يبلغني منه أدنى

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢٠٦ .

مرام، ولكنني تيقنت أن ما أردته به من أغراض قد نفذ إلى قلوب قارئيه وأحدث فيها ما أبتغيه من الأثر"[1].

فكلا الشاعرين : مطران والعسكر قد جعل جُلَّ غايته هو النفاذ إلى قلوب قرّائه من خلال ما يكتب من شعر يُعلى في المقام الأول من شأن العاطفة ، فيعزف لحنه على أوتار قلوب محبيه .

الخريف في شعر العسكر

الخريف عند العسكر نذير فراق وشقاء، مؤذن بحلول السكون بعد صخب الصيف، فليالي الصيف في عنفوانها وسمرها واجتماع الأحبة ليست كليالي الشتاء الباردة الخالية من مظاهر الحياة ، وشاعرنا في قصيدته "من وحي الخريف" يبرز هذه المفارقة، بين ما كان في الصيف من وصال ونشوة بقرب المحبوبة ، وبين ما حلّ به من ضيق وضجر بسبب قدوم الخريف وتفرق الأحبة، يقول العسكر:

إنّ لي عندك لحناً
هاته يا موج هاته
من لحون هتف الصيـ
فُ بها في أُمسياته
فهي للقلب وكم رتّلها
في صلواتِه
أنا في معبده قد
صغتها من عبراته
كن ضنيناً أيها الليـ
لُ بسرّ قد أذاعه

١ خليل مطران – الأعمال الشعرية الكاملة – ص ١٦ .

تـائه يـبـحـث فـي جنـحك
عــن كــنــزٍ أضــاعــه
هــو كــالمــلّاح حــيــن
التــهــم اليـمّ مـتـاعـه
وانـبـرى للريـح والمـوج
فـلم تُـغـن الشـجـاعـه
يـا ليـالي القـرب والإل
هـام بـالمـاضـي القـريب
كم تراءى لي على ذكراك
مــن طــيــف حــبــيــب
فـطغى الشوق وقد يلهي
النــوى بــعـض القـلوب
مـا أنـا بـعدك بـالحـاسي
وبــالشــادي الطــروب
يـا نـدامـى قـد تـحـدّى
الهمّ في قلبي المدامــا
هــاك كـأســي هــاك يـا
سـاقـي وعذرا يـا نـدامـى
وذرونــي أجــرع الصــاب
وأســتــوحــي الظـلامـا
فـأسـيـر القـيـد يـصـلـي
كــاســه نــارا إذا مــا
يـا فـتـاة الأمس واشوقي
لأمــســي وفــتــاتــه
وهـواء اليـوم قـد هـبّ

بـقـلبـي مـن سبـاتـه

وإلى الشـاطـىء والأمـس

مـضـى فـي حـسـنـاتـه

عدت محمولاً على أجنحةٍ

مـــن ذكـــريـــاتـــه

عـودة طـاف بـه العـاشـق

يـــا هـــنـــد وجـــالا

يسأل الشاطىء والأمواج

ليـــــلًا والرمـــــالا

والدُّجـى والنـجـم والريـح

جـنـــوبـا وشـمـــالا

ولكـم حـيـا بـه طـيـفـا

وكـم نـاجـى خـيـالا

يـا فتاتي حسب من ناداك

فـي الفـصـل المـخـيـف

حـسـب مـن كـهـفـه يـا

ربّـة القـصـر المـنـيـف

حـسـبـه مـن هـنـده

فـي ثـورة الحب العنيف

قـبـلـةٌ يـغـرق فـي

خـمـرتـهـا همّ الخـريـف[1]

والشـاعر فـي مقارنتـه بـين الصـيف والخريـف قد سخّر كـل عناصـر الطبيعة للدلالة على ما يقرره، فعند ذكر الخريف يخيل إليه أن صوت أمواج

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢٠٢ – ٢٠٣ .

الخليج صراخ مفزع وصوت الهواء عويل صادر من نفس معذَّبة وكأن الكون من حوله قد تجمع في ذلك المأتم يرثي الصيف ولياليه الساهرة وهو يذكرنا بمأتم مطران في قصيدته سالفة الذكر[١] .

أما الصيف فالطبيعة فيه مجموعة مؤتلفة متناسقة من اللحون الجميلة التي تبعث بالحبور في نفس الشاعر ، ومصدر هذه اللحون الجميلة صوت محبوبته حينما تغنت بشعره، وصاحبتها صوت الأمواج في تآلف شكّل لحنًا جميلًا أفاض بالنشوة على روح الشاعر .

ثم يعاود الشاعر استحضار صورة الخريف الذي أضاع كل هذا فأصبح شاعرنا كالملاح الذي التهم الموج متاعه فصار حائرًا يبحث بين الأمواج الثائرة عليها ، ولكن هيهات فليست شجاعته وحدها بكافية لمواجهة الرياح العاتية ولا الأمواج المتلاطمة في لُجة هذا اليمّ الذي استحال في فصل الخريف مخلوقا مخيفا يبعث بالرعب في نفس الشاعر.

وفي سبيل بيان المفارقة بين حالته في الصيف بقرب محبوبته وحالته في الخريف ذلك الفصل المخيف – كما نعته الشاعر – ينوّع الشاعر قافيته كل أربعة أبيات ، فهو في سبيل المزاوجة بين عاطفتين قد لجأ إلى هذه المباينة في القافية ، على الرغم من أن شعر العسكر في معظمه قد حافظ على القافية الموحدة ، وهي من دلالات نزوع العسكر إلى القديم في الشكل .

كذلك حديثه الدائم إلى ندمائه كان ملمحًا من ملامح القديم ، فلا زال الشاعر قديما يخاطب الصاحبين، وشاعرنا هنا قد استعمل هذه التقنية الشعرية؛ ليسوق إلينا تداعيات روحه المضطربة التائهة بين ماضٍ مفعم بالحيوية في فصل الصيف الذي ولّى، وبين حاضر مخيف خيم السكون والحزن على أرجائه في الخريف.

---

١ ينظر ص ١٩ من هذا البحث .

الطائر في شعر العسكر

الطائر عند العسكر هو الملهم الأول للشعر والباعث الأقوى عليه ، فصوته الشجي يفجر في الشاعر العواطف الكامنة والأحاسيس الدفينة، ونكتفي هنا بإيراد نموذج واحد من نماذج مناجاته له .

يا طائرَ الفجرِ من بالراح أغرانا
إلاك حين تناغي الروض سكرانا
قم واصطبح فكؤوس الورد مترعة
من خمرة الفجر إن الفجر قد بانا
وارقص وصفق وطر واهتف وغنّ به
وحيه واسكب الأشواق ألحانا
كم نغمة صغت من إلهام روعته
ووحي طلعته فاصدح بها الآنا
وسائل الروض عن أحلام غفوته
واستخبر الآس والنوار والبانا
وابعث بأنفسنا ميت العزاء فقد
أودى بها اليأسُ واسمع بعد شكوانا[1]

فالشاعر يناجي ملهمه طالبًا منه أن يملأ الروض بألحانه، ويشرب من كأس الورد رحيقًا يملؤه نشوى، ويشدو ويرقص وسط الرياض الناضرة، فيملأ نفس الشاعر بالحبور، وهو يرقب هذا المنظر البديع الأخّاذ الباعث على نبذ الحزن وتبديد الأتراح والدخول في هذا العالم المثالي الذي يبحث عنه الشعراء صافيا بعيدا عن مكدرات الحياة ومنغصاتها .

ولعل شاعرنا في هذه المقطوعة قد تأثر شيئا ما بصور البلبل عند أحد رواد الرومانتيكية وهو ميخائيل نعيمة في قوله :

---

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٨١ .

إنْ سَمعْتِ البُلْبُـلَ الصَّدَاحَ بَيْنَ اليَاسَمين
يَسْكُبُ الأَلْحَانَ نَاراً فِي قُلُوبِ العَاشِقين
تَلْتَظِي حُزْناً وشَوْقاً والهَوَى عَنْكِ بَعيد
فَاخْبِرِينِي هَلْ غِنَا البُلْبُلِ فِي اللَّيْلِ يُعيد
ذِكْـرَ مَاضيك إلَيْك
هَلْ مِنَ الأَلْحَانِ أنْت؟[1]

فكلاهما رأى في طيور الروض وفي ألحانها الشجية مهيجا للأشواق ومثيرًا لعاطفة الحب في وجدان الشاعر الحالم بعالم يملؤه الحب دفئا وطمأنينة ينشدها كل إنسان .

فصورة سكب الألحان في نفوس العاشقين مستوحاة من شعر ميخائيل نعيمة، وإن كان شاعرنا قد أراد من الطائر أن يسليه عما بداخله من أسى ، أما نعيمة فقد رآى البلبل فيضًا من فيوض الإله العظيم الذي صور البلبل في تلك الصورة الفاتنة .

والواقع أن صورة الحمام الذي يتجاوب مع المحب العاشق، إذ هجرته حبيبته فألمّ به الأسى والحزن، صورة لها جذورها في شعرنا العربي القديم، فهذا ابن الدمينة من شعراء القرن الثاني الهجري (ت حوالي ١٣٠هـ/ ٧٤٧م) يعيش تجربة حبه، ويستثيره هديل الحمام، وترجيع أصواته الحانية فوق الأغصان، فيوقظ في نفسه تباريح الهوى، ومناجاة الحبيب الذي هجره، كأن هديل الحمام في وعيه، بكاء ونشيج لآلام نفسه التي انطوت عليها جوانحه، يقول :

ألا يا حمام الأيك مـــالك باكيا أفارقت إلفًا أم جفـــــاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت هتوف الضحى بين الغصون طروب[2]

---

١ ميخائيل نعيمة– همس الجفون– مكتبة صادر بيروت– الطبعة الثانية– ١٩٥٢– ص٢١.

٢ ينظر د/ شفيع السيد– قراءة الشعر وبناء الدلالة – دار غريب – القاهرة – ٢٠١١م – ص٥٦ – ٥٧ .

ويبدو أن هذه الصورة كانت أثيرة أيضًا لدى الشعراء الوجدانيين المعاصرين، وخاصة رفاق الشاعر في جماعة أبولو، على اختلاف بينهم بالطبع، مع ملاحظة ما أضافوه إليها من زيادات إذ جعلوا الرياض تتألق نضارة وحيوية باللقاء السعيد، ثم تزول نضارتها وتجف أوراقها إبّان الفراق بين الحبيبين. ويحضرنا في هذا السياق أبيات محمود حسن إسماعيل، وهي من قصيدته "دنيا أدمع ومآتم"، وفيها تقول:

ولما تلاقينا وكاد صفـــاؤنا يرفه من وجد القلوب الهوائـم
تصاوحت العيدان في جنة الهوى وجافى رفيق اللحن عش الحمائم
وبدلت الأنسان بين أراكـــها فحيح أعاصير ولفح سمـــائم[1]

وإن كان لذلك من دلالة، فإنما يدل على تواصل تجربة الحب لدى الشعراء المحدثين مع أسلافهم من الشعراء القدامى، وسريان الماضي في أوصال الحاضر.

١ محمود حسن إسماعيل – الأعمال الكاملة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٤م – المجلد الأول – ص١٧٥ .

٢- الافتتان بالمرأة وعاطفة الحب

الحُبُّ من العواطف الإنسانية النبيلة، إذا سما به الإنسان عن الابتذال والإسفاف، وغدا لونًا من الارتباط القلبي المبرأ من نوازع المادة ودنسها، وقد بلغ مستوى عاليًا من الصفاء والطهارة لدى شعراء الغزل العذري في الشعر العربي القديم، وكان الولاء للحبيبة والوفاء لعهدها باعثًا للمحب على تحمل ألوان من المشقة والعذاب، وقبول التضحية بما لا يهون على النفس التضحية به، بل إنه يستعذب هذه التضحية ويتقبلها عن طيب خاطر.

تبدو عاطفة الحبّ عند الوجدانيين عموما وكأنها تجربة روحية ترتبط بمعاني الطهارة والعفة والصمود أمام الشهوات، ويسمو الشاعر فيها بخياله إلى عالم نورانيّ من الأحلام والأوهام ، متخذا من حبه إلهاما لموهبته وحافزا لوجدانه ليرقى إلى ما يستطيع من رحاب الروح والفن.

ووجود المرأة في شعر العسكر وجود غائم مطلق لا يحده – في الأغلب – اسم أو زمان أو مكان ، يتحدث العسكر عنه في كثير من الأحيان حديثه إلى غائب مجهول، أو يخاطبه أحيانا كما يخاطب مثالًا ساميًا خالصا من أدران الحياة وأطماعها، والشاعر في تطلعه إلى هذا المثال يأمل الخلاص مما يجد من معاناة الحياة ومخالطة الناس، وشاعرنا فهد كما هو معلوم قد آثر العزلة وقتا طويلا حتى فارق الحياة وهو في زهرة شبابه، وقد كان يأمل من وراء هذا الحب أن يتحرر من الصراع المحتدم في وجدانه بين الرغبة والطهارة، أو الواقع والمثال، يقول العسكر:

أيهذا الهائج الصاخب

أوقدت الضراما

ومن الآثار والأطياف

ما يذكي الغراما

أنا عطشان وكم من

نبأٍ بلّ أواما

فعن السمراء خبّرني
وأقرئها السلاما
ها هنا عاهدت هندا
بعدما حرّرت نفسي
ها هنا بالحبّ والنشوة
قد غيّبت نحسي
وهنا في غيهب الأتراح قد
واريت أُنسي
وهنا أبكيت هندا
فاحفروا إن متّ رمسي
هذه الصخرة كم في
ظلّها وقت الظهيره
جلست منشدةً شاديـ
ـةً هند الصغيرة
وعلى تلك وهذي
في لياليا الأخيرة
كم نشرنا من بساط
وشربنا بالكبيرة
وعلى هاتيك والشمس
بأحضان المغيب
بحت قبل القبلة الأولى
بحبي للحبيب
وعروس الشعر كم
طافت بذيّاك الكئيب
وعليه هند كم

غنّت لحون العندليب
إنّ لي عندك لحناً
هاته يا موج هاته
من لحون هتف الصيـ
فُ بها في أمسياته
فهي للقلب وكم رتّلها
في صلواته
أنا في معبده قد
صغتها من عبراته
كن ضنينا أيها الليـ
لُ بسرّ قد أذاعه
تائه يبحث في جنحك
عن كنزٍ أضاعه
هو كالملّاح حين
التهم اليمّ متاعه
وانبرى للريح والموج
فلم تُغن الشجاعة[١]

يلجأ الشاعر إلى البحر (الخليج العربي) سميره في لياليه بكل ما فيه من اضطراب وثوران فينشده أن يعيد على أذنه ذكر هند تلك الفتاة السمراء التي ملأت على الشاعر حياته ، والبحر خير من يجيبه في ذلك؛ فهو الذي عاين لهو شاعرنا ولقائه، فشاطئ البحر هو ذا المكان الذي بدد الشاعر فيه أحزانه وانقشعت عنه فيه أتراحه لذا نراه يقول: احفروا قبري هنا في هذا المكان؛ لعل هذه الحياة الهادئة على شاطئ البحر تتصل بعد وفاته.

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢٠٢ – ٢٠٤ .

ويزيد فهد العسكر الموقف توترًا بما يضيفه من امتداد آخر لرؤيته الشعرية، تتمثل في استجابات النبات، والطير، بل الندى لأشجانه وآلامه.

والحب عند فهد كاليد الرحيمة التي يرجو الشاعر أن تمتد إليه لتنقذه من وعثاء الحياة وآثامها، لكنّ انتظاره إلى لمسة تلك اليد الرحيمة كثيرا ما يطول؛ لأن تجربة الخلاص تعني الانسلاخ الأليم من إلف الواقع إلى جدة المثال ومن نوازع الجسد إلى أشواق الروح[1]، يقول العسكر :

لا الأنس أنس ولا الأفراح أفراح

كلا ولا الراح راح بعدما انزاحوا

مضوا وما بحت عن سرّ الهوى لهم

وما أبانوا لي الشكوى وما باحوا

يا صاح لا كفكفت كفّاي بعدهم

دمعي على أن دمع العين فضّاح

منحتهم كل ما شاء الغرام ولا

غرابة فصريع الكأس منّاح

يا قوم نفسي سالت لوعة وأسى

هلا عذرتم أهل العشق إذ ناحوا

بالله معذرة فالدهر جرّعني

صاب القنوط ومن يسقاه نوّاح[2]

ويمزج العسكر بين الحب وأحوال النفس، فتبدو صورته هادئة شجية حينا، أو حادة صاخبة حينا آخر، حسب طبيعة التجربة ومزاج الشاعر، وبين يدينا تجربة يميل فيها العسكر إلى الهدوء والتأمل وربط الحب بأحوال النفس

١ ينظر د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٢٨٩ .

٢ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ٢٥٧ .

والطبيعة، وبخاصة في شجنها الرقيق ولحظاتها ذات الهدوء العميق، يقول العسكر :

اذكُريني كلما هبّ الندامى
لِتَحسّيها غَبوقاً وصبوح
وإذا ما هزّتِ الذكرى الحماما
فغدا في الدوح يشدو وينوح
اذكريني كلّما زفَّ الشمول
ذاتُ دلٍّ ودَلالٍ أو غُــلام
وإذا ما استَرجَع الشربُ العقول
فغَفوا تكلأهم عين السلام
اذكريني كلما آذارُ وافى
وارتمى سكرانَ ما بين يديك
وإذا نيسانُ عاطاكِ السلافا
وحنا شوقاً وتحناناً إليك
اذكريني كلما هام الفراش
لارتشاف الراح من ثغرِ الزهور
وإذا ما هاجَكِ الشوقُ وجاش
صارخاً في نفسكِ الولهى الشعور
اذكريني كلّما ناغى الهزار
ثمِلاً أفراخهُ عند الشروق
وإذا ما هزمَ الليلُ النهار
واستثارَ الوُرقَ تنحابُ المشوق
اذكريني كلما الشمالُ هبّت
وسرَت يا زينةَ الدنيا جنوب
وإذا ما صحَتِ الطيرُ وعبّت

خمرَةَ الفجرِ على نفحِ الطيوب

اذكريني كلما النايُ ترنَّم

وهفا قلبٌ على قرعِ الكؤوس

وإذا ما شاعرُ الحيِّ تألَّم

فبكى في الشجنِ واستبكى النفوس

اذكريني كلّما الصيفُ أتى

يحملُ البشرى لأرباب الغرام

فالتقَت كل فتاةٍ وفتى

فإذا الدنيا سلامٌ وابتسام

اذكريني كلما نام السكارى

بين أحضانِ الرمال الناعمة

وإذا ما سامرَ الموجُ السهارى

حولَ هاتيكَ الصخورِ الجائمَه

اذكريني كلّما لاح أخوك

في السماءِ اللازوردية ليلا

وإذا ناجيتهِ لافُضَّ فوك

في سكون الليلِ يا ليلى لكَيلا

اذكريني كلما جاء الخريف

ناثراً ما نظَمَت كفُّ الربيع

ما حيّا كل أنيقٍ ولطيف

ماسخاً كل جميلٍ وبديع

اذكريني كلّما حلَّقتِ فجرا

وانتشَت روحك في دنيا الخيالِ

اذكريني يا فتاتى ربّ ذكرى

قرَّبَت من نزَحا رغمَ الليالي[١]

وأزعم – وأنا أجيل نظري في تلك القصيدة – أننا نطالع واحدة من تلك التجارب الشعرية التي عرفها الغزل العذري في الشعر العربيّ، فهو عمل شعري سلم مما يغلب على قصائد أخرى له تغنى فيها بالملامح الحسية للحبيبة، ووصف مفاتنها ومواطن جمالها وصفًا مثيرًا.

وحين نتأمل القصيدة ونعيد النظر فيها، نراها تدور حول دلالتين أساسيتين في تجارب الحب بعامة هما: الفراق واللقاء، بكل ما يفجران من أحاسيس ومشاعر، واتخذ الأداء الشعري في الحالتين شكل الصورة الرامزة؛ فشاعرنا قد جعل من كل ما حوله من مشاهد الطبيعة الباعثة على السرور والنشوى داعيًا لأن تتذكره حبيبته فسألها أن تذكره عندما يشدو الحمام، وحينما يهب النسيم الرقيق، ويرتشف الفراش من رحيق الأزهار، وعند ملاعبة الهزار لأفراخه، وعند طلوع الفجر المؤذن برحيل الظلام، وعند حلول الصيف الباعث على اللهو حول الخليج بأمواجه وضخوره وما يتبعه من مشاهد البهجة، وقد جمع شاعرنا في هذه القصيدة كل دوافع الشعر الغنائي عند الرومانتيكيين بما حوته من حديث عن المحبوبة وتسخير لكل عناصر الطبيعة الساحرة لتشاركه هذا اللقاء المفعم بالدفء والحيوية في آن واحد .

فشاعرنا بوجدانه المشبوب الذي تذوب فيه عاطفة الحب فتتماهى مع عناصر الطبيعة والمجتمع والنفس والموت تلخص موقف الشاعر الرومانسي من الحياة .

ونرى شاعرنا في هذه الأبيات يستعمل بعض الألفاظ الأجنبية كأقرانه في جماعة أبولو فيصف السماء باللازوردية وهي كلمة أعجمية تشير إلى أحد المعادن ذي لون أزرق، وقد كان بإمكان الشاعر أن ينعت السماء الزرقاء اللامعة بأي وصف عربيّ، ولكنه النزوع إلى التجديد في الوصف بما لم يأت

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٥٩ .

بـه القدماء، والرغبـة فـي تطـوير ألفـاظ الشـعر ومعانيـه بمـا يناسـب المدرسـة الرومانسية ذات الأصول الأوروبية .

ونرى الفعل الأمر (اذكريني) وقد تكرر في القصيدة؛ ليؤكد على هذا المعنى الذي يلحُّ الشاعر في ترسيخه، في محاولة منه لاستعطاف المحبوبة بأن يظل الشاعر في ذاكرتها ولا يرحل عن وجدانها، وهي دعوى بها شـيء من الجدة والطرافة ، فلم يكتف باستحضار صورة المحبوبة في عقله ووجدانه، بل طلب منها أن يظل حاضرًا في وجدانها هي أيضًا .

وشاعرنا العسكر يخلع على الحب أجواء مقدسة تقترب من طقوس الـدين والعبـادة ، مطلقًـا وجدانـه علـى سـجيته ، كاشـفًا أعمـاق نفسـه بألفـاظ وعبارات رومانسية محشودة متتابعة، ومن ذلك قوله في قصيدته "جلالة الملك المعظم":

حـيّ الصبـاح إذا تبسم

وصـغ العقود إذا تكلم

واعبد بمملكـة الجمال

جـلالة المـلك المـعظم

فالحسن حين يصان يعبد

فـيـه خـالقـهُ ويـكـرَم

وإذا سـألت وجـاد يـومـا

مـا بـوعـد أو تـكـرّم

فاستقبل الدنيا بزينتها

ولا تـشـرك فـتـنـدم

واسـتـوحـه واستـلهمنـه

فـكـم وكـم أوحـى وألهم

رمزُ الفضيلةِ والعفاف فأ

يـنَ يـوسـف أيـن مـريَـم

أنا لا أقول هو الهلال
كما يقالُ إذا تلثّم
أو حين يسفرُ قد تبدّت
أختُ يوشع فهو أعظم
ركعت له فينوس حين
هوت وخرّت إذ تسنّم
مولايَ طوّح بي التدلّه
بعدَ أن أدمى وقلّم
وهوى بشيطاني القنوط
وأفق إلهامي تجهّم
وكبا جواد الحظ بي
وحسام بأسي قد تثلّم
الله فيّ فإنّ كاسي
ملؤها بهواك علقَم
الله في قلبي الكليمِ
فجرحه الدامي تسمّم
وكتمتُ حبّك مرغما
والحبّ يقتل حين يكتم
كيف السبيلُ إلى الشكاة
وكل من في الحيّ لوّم
يطوي الليالي ذاهلاً
متحسّراً والناس نوّم
متبرّم بنهارهِ
قلق إذا ما الليلُ خيّم
قد جنّ بين فؤادهِ

الملتاع والأمل المحطّم

فتعال بادله الوداع

وعش قرير العين واسلم [1]

إن الحب هو الينبوع الذي تدفقت منه قصائد شاعرنا ، وهو حب أضرم الحرمان ناره، فلا نكاد نحس فيه لحظة بأن الشاعر قد أطفأ لهيبه أو روى ظمأه، وفي ظل هذا الحرمان وبسببه راح خيال الشاعر يحلق في آفاق عليا من التصوير، ويسمو في معظمها إلى مقام العبادة، فهو عابد يقف في محراب الحب يرتل آياته، ويترنم بأنغامه، وحبيبته هي المعبود الطاهر الذي يتجه إليه بقلبه ويتغنى بذكره وتقديسه.

وكما يقترن الحب في رؤية فهد العسكر الشعرية بالعبادة، يقترن كذلك بالتصوف، بل يمتزج الأمران معًا في كثير من الأحيان، فيأتي التعبير عن أحدهما في ثنايا التعبير عن الآخر. والتصوف في جوهره – عند بعض الشعراء – ليس إلا مرتبة عليا من مراتب العبادة تبلغ فيها درجة عالية من الصفاء والشفافية، ويستغرق فيها القلب في غرام من يحب فلا يكاد يرى في نفسه غيره، ولا ينشغل بأحد سواه، والمحب عند هذا المستوى إنما هو عاشق ولهان، ومحبوبته في مرآته الباطنة قبس من النور، يقول العسكر :

أهلاً وسهلاً بالغرا

م البكر والأملِ الوسيم

أنقذتَ روحي من برا

ثنِ ذلك الحبّ الأثيم

ورفعتها من بعدما

كانت تمرّغُ في الأديم

وأرحتها من عربدا

---

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٦٧ – ١٦٨ .

تِ الشكّ والألم الأليم
وهدَيتني بعد الضلا
لِ إلى الصراطِ المستقيم
والحب إحساس يجي
شُ بخافق الحرِّ الكريم
والحبّ إلهام الجما
لِ المحضِ للذوقِ السليم
هو روعة الخلق الجمي
ل ازدانَ بالخلقِ القويم
هو الصغير شباك صي
دٍ وهو دينٌ للعظيم
هذا وهل كان الهوى
إلّا لذي قلب رحيم[١]

وفي الجهة المقابلة لهذا الخشوع والتقديس المسرف المبالغ فيه أحيانًا يعبر العسكر عن خيبة أمله في حبيبته وملهمته التي صاغها في وجدانه ووشّاها بالخيال والأحلام والأوهام فيصور المرأة مخلوقا طائشا قليل الوفاء كثير التقلب والخيانة ، وكأنها في كلتا الحالتين معادل للحياة عند الشاعر، فيما تمنحه من ساعات الصفاء والإقبال ، وفيما يجد فيها من شقاء وإدبار وتحول مفاجئ في المصير، فتصبح القصيدة وكأنها أنات جريح، يقول العسكر:

ذري القلب يطوي حبّه ويواريه
ذريه فقد أقصى هواك أمانيه

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٧٥ .

ومن كفّك الصهباء صاب فاترعي

عدمتك كأسي واغربي لا تديريه

فلست على الحب القتيل بآسف

فحبّ كهذا لا تطاق مساويــه

ولست على أمسي وغرسي بنادم

وتبّا لقلبٍ كاذب الحبّ يغريه

دعيني وهاتي يا هلوك رسائلي

فإنّ ربيب الإثم خابت مساعيه

وهاك الذي بالأمس كنت أضمه

إلى مهجتي الحرى وكنت أفدّيه

خذيه ففي طيّاته لك صورة

ودمع وبعض الدمع خرسٌ معانيه

ولي في يا أفعى دموع بعيد ما

أثار ابن جنبي فارعوى ما سأخفيه

ويا شبح الموت اذهبي وتصيّدي

عسى ولعلّ السهم يودي براميه[1]

وشاعرنا كما سخّر كل عناصر الطبيعة الجميلة الفاتنة حين استعرض هذا الدفء العاطفي مع محبوبته ، لجأ للعناصر المخيفة حين أراد أن ينعتها بالخيانة فصورها بأفعى تنفث سُمّها في ظلامٍ حالكٍ ، وهكذا لم يجِد شاعرنا عن الاندماج بالطبيعة في حالاته المتباينة .

١ عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢١٠ .

خاتمة البحث

وبعد لأي فإنّي قد توصلت في بحثي هذا إلى أن العسكر وإن كان من دعاة التجديد إلا أنه ظل متمسكًا بكثير من الأصول الكلاسيكية في شعره ؛ فنراه يحافظ على الوزن الواحد والقافية الموحدة في جلّ أشعاره ، كما اتسم معجمه الشعري بالنزوع إلى القديم فبدا متأثرا بألفاظ الشعر العربي في قرونه الأولى، وبدا متأثرًا في خيالاته بالتراث العربي، ولعل ذلك بسبب بيئته الصحراوية التي تجلُّ تراثها الشعري ، فالشاعر الذي يقطن الجزيرة العربية قد صهر ثقافته العربية في ديوانه الشعري ، فبرغم محاولات التجديد إلا أن القديم قد ظل مترسخا في وجدانه باديًا في أسلوبه ، ومما يلفت النظر أن شاعرنا العسكر قد عدل عن التقليد القديم وهو البدء بمقدمة غزلية طللية إلى مقدمة أخرى وصفية يصف فيها مظاهر الطبيعة من حوله ثم يتخلص إلى غرضه الرئيس فبدا مجددا لم يفلت من أسر التراث ، ولكنه على كل حال لا يعد كلاسيكيا، بل هو أحد رواد الوجدانية في بلده الكويت بما حوى شعره من ذاتية شديدة وامتزاج بالطبيعة حيث لم يقتصر على وصفها بل باتت الطبيعة تختلج كيانه وتملأ وجدانه .

المصادر والمراجع

١- أحمد زكي أبو شادي – الشفق الباكي – المطبعة السلفية ومكتبتها – ١٩٢٦م .

٢- خليل مطران – الأعمال الشعرية الكاملة – جمع وترتيب د/ أحمد درويش – مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري – الكويت – الكبعة الأولى – ٢٠١٠م .

٣- د / شفيع السيد – قراءة الشعر وبناء الدلالة – دار غريب – القاهرة – ٢٠٠٧م .

٤- د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٨٨ م.

٥- عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة الخامسة – ١٩٩٧م .

٦- عقيل يوسف عيدان – معصية فهد العسكر – دار العين للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠١٣م.

٧- علي محمود طه – ديوان علي محمود طه – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – مصر – القاهرة

٨- د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٨٨ .

٩- ميخائيل نعيمة – همس الجفون – مكتبة صادر بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٥٢ .

مواقع :

10- https://www.arageek.com/bio/fahad-al-askar
11- http://www.3rbi.info/Article